

تفسير البغوي

246 - قوله تعالى : { ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل } والملا من القوم : وجوهم وأشرفهم وأصل الملا الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط وافبل والخيل والجن وجمعه أملاء { من بعد موسى } أي من بعد موت موسى { إذ قالوا لنبي لهم } واختلفوا في ذلك النبي فقال قتادة هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقال السدي : اسمه شمعون وإنما سمي شمعون لأن أمة دعت إلى أن يرزقها غلاما فاستجاب إلى دعائها فولدت غلاما فسمته سمعون تقول سمع إلى تعالى دعائي والسين تصير شيئا بالعبرانية وهو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وقال سائر المفسرين : هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة وقال مقاتل : هو من نسل هارون وقال مجاهد : هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة .

وقال وهب و ابن إسحاق و الكلبي وغيرهم : كان سبب مسألتهم إياه ذلك لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر إلى تعالى حتى قبضه إلى تعالى ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه إلى تعالى ثم خلف حزقيل حتى قبضه إلى ثم عظمت الأحداث في بني اسرائيل ونسوا عهد إلى حتى عبدوا الأوثان فبعث إلى إليهم إلياس نبيا فدعاهم إلى إلى تعالى وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف من بعد إلياس اليسع فكان فيهم ما شاء إلى ثم قبضه إلى وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلشاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم اربعين وأربعمائة غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدير أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبديلها بسلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو إلى أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول : سمع إلى تعالى دعائي فكبر الغلام فأسلمته ليتعلم التوراة في بيت المقدس فكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل وهو نائم إلى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فرعا إلى الشيخ فقال : له يا أبتاه دعوتني ؟ فكره الشيخ أن يقول لا فيفرع الغلام فقال يا بني ارجع فتم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام يا أبت دعوتني ؟ فقال ارجع فتم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني (فرجع الغلام فنام) فلما كانت الثالثة ظهر

له جبريل فقال له : اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن ا D قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا : استعجلت بالنبوة ولم تنك وقالوا له : إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل ا آية من نبوتك وإنما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لأنبيائهم فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبى يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب بن منبه : بعث ا تعالياشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل : { ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل ا } جزم على جواب الأمر فلما قالوا ذلك { قال هل عسيتم } استفهام شك .

قرأ نافع : عسيتم بكسر السين كل القرآن وقرأ الباقر بالفتح وهي اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى : { عسى ربكم } { إن كتب } فرض { عليكم القتال } مع ذلك الملك { أن لا تقاتلوا } أن لاتفوا بما تقولوا معه { قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل ا } فإن قيل فما وجه دخول أن في هذا الموضع والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل وإنما يقال مالك لا تفعل ؟ قيل : دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فالإثبات كقوله تعالى : { ما لك أن لا تكون مع الساجدين } (32 - الحجر) والحذف كقوله تعالى : { ما لكم لا تؤمنون با } (8 - الحديد) وقال الكسائي : معناه وما لنا في أن لا نقاتل فحذف (في) وقال الفراء : أي وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل ا كقوله تعالى : { ما منعك أن لا تسجد } (12 - الأعراف) وقال الأخفش : (أن) هاهنا زائدة معناه : وما لنا لا نقاتل في سبيل ا { وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا } أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لأن الذين قالوا لنبيهم : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل ا كانوا في ديارهم وأوطانهم وإنما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا مجيبين لنبيهم : إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فأما إذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا وأولادنا .

قال ا تعالى : { فلما كتب عليهم القتال تولوا } أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر ا { إلا قليلا منهم } وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي إن شاء ا تعالى { وا ا عليم بالظالمين }